كيف نبني من الغرائز الشريفة خلقا طيبا

تكلمنا فى مقالنا السابق بالعدد السادس من مجلتنا الغراء عن حرية الطفل وأيدنا الطريق القويم الذى نضمن به إماتة الغرائز الوضيعة فيه مع ضمان الاحتفاظ بالغرائز الشريفة ، وحفظها من الأماتة والضياع

ونريد الآن أن نعرف كيف نقرع من هذه الغرائز صنوفا من الوجدانات النافعة ونبنى عليها خلقا ثابتا مستمرا

مثلاً تلقين المواعظ

لقد ثبت بالتجارب لدى علماء التربية الحديثة أن تلقين الطفل المواعظ الدينية والأرشادات الخلقية لا منفعة منها ولا جدوى كما نتوهم وأنها طريقة عقيمة تنتج عكس ما تتطلبه ونرجوه لأن الطفل لم يصل إدراكه ولا تفتوجه العقلى إلى درجة يعرف بها الفضيلة من طريق التلقين والكلام معرفة صحيحة ، بل إن العقل كثيرا ما يولع بمخالفة ما يأتى عليه من الأوامر والنواهى ، سيما إذا كثر تكرارها فالعقل الذى لا يعرف المرقة أو لعب القمار أو شرب الخمر مثلا إذا قلت له محذرا ناهيا : إياك وهذا الفعل . كنت فيما أمرت به غفلنا حيث فتحت مغاليق ذهنه للبحث عنه ، وأوجدت لديه ميلا إلى استطلاعه وربما جره هذا إلى الوقوع فيه

استثارة الغرائز واستعمالها بالعمل

إنما الذى يجب أن نسلكه هو أن ننهض الطفل وتشغل غرائزه بالعمل النافع وتدفعه إلى كثير من الوجدانات بعرضك الأشياء التى تثير فيه كامن شعوره وتوقظ راقد غرائزه ، والعواطف النفسية لها ارتباط كبير فى الخارج بطائفة من الوقائع فالشفقة مثلا توجد عند رؤية آلام الغير ومصائبه . والشكر يوجد عند إسداء الأحسان ومقابلة المعروف . ومحبة الناس تنشأ بحسن المعاملة ولطف المجاملة ، وغير ذلك مما يثبت أن نمو الغرائز النفسية واستثارتها وتهييجها إنما يكون بالمؤثرات الخارجية أكثر من نموها بالبواعث النفسية

فكما أن المشاعر الظاهرة كما قدمنا لا تتأثر إلا بمؤثرات خارجية ، كشعر الذوق لا ينفعل إلا بما يقع عليه من الطعوم ، كذلك شأن الغرائز النفسية والمشاعر الباطنية لا تتأثر ولا تتحرك من مرقدها حتى توقظها بمؤثر خارجى ، والطفل كآلة موسيقية كلها أوتار تهتز إذا عزفت بمزاول ما تتأثر به . فاذا نحن عملنا على تهييج هذه الغرائز التأمت الطبائع النفسية العوامل الخارجية التئاما أحدث تلك القوة الكبيرة الثابتة المعروفة بالخلق . فاذا أردنا

أن تنبه فيه الميل إلى الجمال، فلنسمعه مثلا رنات المزاهر ولنلفته إلى مشاهد الطبيعة الخلابة. وإذا أردنا إيقاظ الشعور الديني فيه فلنكثر الاختلاف به إلى المساجد والجوامع والمجتمعات الدينية التي تسودها السكينة ويكسوها الوقار

ولا بأس من أن نسوق إلى القارىء الكريم بعض الأمثلة في ذلك لتكون دليلا ومنهاجا ينسج على منواله

من ذلك : أراد معلم أن ينفخ في روع تلاميذه محبة الاحسان إلى البائسين فأخر عنهم الغذاء قليلا حتى هاجهم ألم الجوع ، ثم أقبل عليهم وقص حديث من نكبتهم الأيام فطردوا من ديارهم وأوذوا في نفوسهم وأموالهم ، وباتوا على الطوى والجوع القاتل . فجادوا بالنذر اليسير : والكريم من جاد بما عنده . وناهيك هنا بما تحدثه زيارة ملاجىء العجزة والمستشفيات فانها داعية إلى محبة المعروف ولهذا شرعت زكاة الفطر بعد صوم شهر رمضان المعظم

ومن ذلك ما يحكى عن الملكة الكسندره (ملكة الانجليز) حيث تقدم إليها وفد من الفلاحين يستغيثون من ضرر دوبية تختفي في الأرض وتتغذى بجذور النبات فيذبل فقد عملت على استثارة غريزة المحاكاة واستخدامها في الوصول إلى ما تريد ، وهنا تعرف مقدار البراعة حينما أمرت بصنع معطف لها من فرو هذه الدوبية ومارأته الأواني حتى تنافسن في صنعه وتنافس الصيادون في صيده وكانت محاكاتهن للملكة سببا لقطع دابر هذا الحيوان . وذوق الملكة على كل حال هو نموذج الجمال دون جدال

ومن ذلك ما يحكى من أن أحد الحكماء رأى أمام داره حصى كثيرا ألقاه أطفال الحارة. فنادى هذا الحكيم الأطفال لرفع هذا الحصى ، فلم يلتفتوا لندائه فعمل على استثارة غريزة المنافسة فيهم ونصب هدفا بعيدا من الدار وأخذ يرمي الهدف بالحصى ليصيبه فلما رأى الأطفال لعبته حتى تجمعوا عنده وتنافسوا في رمي الحصى لاصابة الهدف، وبذلك تم له نقل جميع الحصى في قليل من الزمن

وحبذا لو عملت الوزارة من جانبها على جعل المدرسة الابتدائية في جو يتمكن فيه المدرس من استثارة هذه الغرائز واستخدامها كما ينبغي على نهج ما هو معمول به في مدارس رياض الأطفال إذاً لكان لنا في ناشئة المستقبل ذخيرة من الخلق الكريم والخير العميم لهذا الوطن الكريم

حسني النجار احمد
مدرس بمدرسة جرجا بنوس الابتدائية — بقنا